إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

يوليو ٢٠٢٥

في المغفرة – الجزء ٢

"إن أردنا أن نُحاكَم برحمة فينبغي أن نكون نحن أيضا رحماء مع أولئك الذين أخطأوا ضدنا. لأنه سيُغفَر لنا كثيرا مثلما غفرنا لأولئك الذين قد أساءوا إلينا مهما كانوا."

(المحاورات – الأب إسحق)[١]

اخوتي الأحباء، لنتابع دراستنا في موضوع المغفرة الذي هو هام جدا في حياتنا الروحية عموماً، وحياتنا الرهبانية خصوصاً. في الانجيل حسب القديس متى، عندما ربنا يسوع المسيح علمنا كيف نصلي، صنع صلة مباشرة بين سؤالنا لله الآب ليغفر خطايانا ومغفرتنا نحن للخطايا التي ارْتُكِبَت ضدنا من قبل انسان نظير لنا. هذه الجملة كانت ذات أهمية عظيمة لدرجة انه عندما انتهى من الصلاة، هذا كان الشيء الوحيد الذي عَلَّقَ عليه، مضيفاً: "فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ" (متى ٦: ١٤-١٥). القديس يوحنا ذهبي الفم يعلّق على هذا ويقول: "وبعد الصلاة لا يذكر ولا وصية واحدة أخرى غير هذه الوصية" ويتابع فيقول: "ونحن ارباب الحكم علينا ومالكوه."[٢]

لنرى كيف استطاع الاباء الرهبان الاولون ان يطيعوا وصية ربنا يسوع المسيح. الانبا أشعياء الاسقيطي يقول لنا: "إذا كنت في قلايتك وتذكرت إنساناً قد أساء إليك، فانهض حالا وصلِّ إلى الله من كل قلبك لكي يغفر الله له، فبذلك يفارقك فكر الإنتقام."[٣]

اول واهم شيء يجب العمل به هو التوجه الى الله بالصلاة. صلّي من كل قلبك من أجل ذلك الشخص، وكل المشاعر السلبية نحوه سوف تتلاشى. يجب علينا ان نتوسل ونطلب من الله ان يجعل قلوبنا مستعدة دائماً لتغفر لهم، كما هو دائماً مستعد ان يغفر لنا في كل لحظة. بينما نحن واقفين امام الله، يمكننا أنْ نتلوا اقوال داود النبي عندما قال: "لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ" (مزمور ٨٦: ٥). القديس يوحنا ذهبي الفم يقول ان "لا شيء يصيرنا على شبه الله الى هذا الحد كاستعدادنا ان نغفر للشرير والخاطئ."[4] عندما نتقدم في حياتنا الروحية، يجب ان نصل الى الدرجة التي فيها نغفر نحن للآخرين من غير ان يطلبوا الغفران منا. نقرأ في بستان الرهبان التالي: "سُئل شيخٌ: «ما هو الاتضاع؟» فأجاب: «هو عندما يخطئ إليك أخوك فتغفر له قبل أن يطلب منك المغفرة.»"[٥]

عندما نصلي من اجل الشخص المخطئ الينا، يجب ان نفتكر قول الأنبا دوروثيئوس الذي قال: "أنت رأيت خطيئته من وجهتك، أما توبته، فلم تدركها،" وقال ايضاً: "أنت لا تعرف الدموع الي ذرفها أمام الله من جراء خطيئته."[٦] لو نحن بالحقيقة نفكر بهذه الطريقة، سيكون غفراني لإخوتي واخواتي أسهل جداً. كما اننا نشعر بالسوء عندما نخطئ في شيء او نرتكب أي

---

[١] يوحنا كاسيان، المحاورات، ترجمة الأب الدكتور بولا ساويرس، مشوع الكنوز القبطية. ص ٤٦٥.
[٢] تفسير القديس يوحنا فم الذهب على انجيل مار متى البشير، ١٨٨٤م، ص ٢٩٨.
[٣] ميامر وأقوال الأنبا أشعياء الإسقيطي، اصدار أبناء البابا كيرلس السادس، ص ٢٣.
[4] Manlio Simonetti, ed., Matthew 1–13, Ancient Christian Commentary on Scripture (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2001), 139.
[٥] بستان الرهبان الموسَّع ج٣، ص٤٤٣.
[٦] التعاليم الروحية للقديس دوروثاوس، تعريب دير مار ميخائيل، ص٨٩.

خطيئة، كذلك علينا ان ندرك ان اخينا او اختنا يشعران بنفس الشعور، وهم يقدمون توبة كل واحد في قلايته ويبكون على ما قد فعلوه. عندما نفكر كالأنبا دوروثيئوس، سنكون على الدوام مستعدين لنغفر. يجب علينا ان نفتكر قول القديس بولس: "وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ" (أفسس ٤: ٣٢).

في المحاورات، الأب تشيرمون يشرح لنا، قائلاً: "وعندما يقتنى أي أحد محبة الصلاح هذه، التي تحدثنا عنها ومحاكاة الله، عندئذ يوهب حنان قلب الله، فيصلى أيضا من أجل مضطهديه قائلاً بنفس الأسلوب «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. "[٧]

الأنبا أشعياء ايضاً يقدم النصيحة التالية لنوع آخر من الظروف التي يمكن ان يواجهها الانسان: "فإذا أدركت أن شخصا ما تسبب في معاناتك من أيّة أذية، لاحظ إرادتك الصالحة أن لا تكافئه في قلبك، بأن تلومه أو تدينه أو تغتابه أو تسلمه لأفواه الآخرين، وبعدئذ تفكر هكذا: إنه لم تصبني أية أذية."[٨]

وقال لنا أيضاً نقطة مهمة جداً لننتبه لها كذلك: "إذا أساء إليك أخ، وجاء آخر وذمه أمامك، فاحفظ قلبك لئلا يتجدد فيه تذكر الشر (الذي أساء به إليك) ذاكرا خطاياك أمام الله، فإن كنت تشاء أن يغفرها لك، فلا تجاز قريبك (عن اساءته)."[٩] هنا نرى ان التوجه الى الله بالصلاة وتذكار خطايانا هو الطريق الذي به نستطيع ان نغفر للكل.

الشيء الثاني الذي يجب ان نفعله هو ما امرنا به ربنا يسوع المسيح: "وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا" (متى ١٨: ١٥). لم يقل انه يجب علينا ان ننتظر الى ان يأتي اخانا او اختنا الينا؛ اوصانا ان نذهب نحن إليهم، وحدنا في الأول. قد تقول: "لكن هو أخطأ اليّ، لماذا يجب عليّ انا ان اذهب اليه؟" الإجابة ببساطة هي: لأنه علينا ان نطيع الرب. أفكار كثيرة ليست حسب الله قد تمنعك من ان تطلب اخاك او اختك، وتقريبا كلهم لهم صلة بكبريائنا وذاتنا، لكن لا يجب علينا ان ننصت لهذه الأفكار. ربنا قال لنا: "اِحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ، وَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ، فَاغْفِرْ لَهُ" (لوقا ١٧: ٣-٤). مرة أخرى ربنا جعل المسألة واضحة جداً انه لا يجب ان يكون لنا حدّ لكَمْ مرة نغفر لإخوتنا واخواتنا.

لو نظرنا الى اباء البرية، سنرى كيف اطاعوا وعاشوا حسب كل كلمة من الانجيل. الأنبا أغاثون قال: "ما رقدت قط وابقيتُ غضباً في قلبي ولا حتى فكر عداوة ضد أي إنسان، ولا تركت قط إنساناً يرقد وفي قلبه أي غضبٍ عليَّ على قدر طاقتي."[١٠] في هذا، كان يطيع كلام داود النبي والقديس بولس الى افسس عندما علمهم قائلاً: "اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا" (أفسس ٤: ٢٦-٢٧).

وآخر من اباء البرية الاولين كان له طريقة فريدة في التعامل مع المسائل مع اخوته، وكانت ايضاً تبعاً للإنجيل: "قيل عن راهب إنه كلما وجد أنّ إنساناً يهينه أو يشتمه كان يسرع إليه قائلاً: «اغفر لي». إنّ هذا هو الذي يؤدّي إلى الفضيلة والنمو عند الغيورين، أما الذين ينسبون البركة للإنسان أو يمدحونه فإنهم يخدعون النفس ويزعجونها، لأنه مكتوبٌ: «الذين يسمونك مباركاً يخدعونك» (أو «الذين ينسبون لك البركة يضللونك»)."[١١]

في المحاورات، الأنبا اسحق يقول لنا التالي في شرحه للصلاة الربانية:

> "وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر للمذنبين إلينا". يا لرحمة الله التي لا يُعبَّر عنها، الذي ليس فقط قد أعطانا نمط الصلاة، وعلَّمنا نظام الحياة المقبولة لديه، وأنه بمتطلبات الشكل المُعَطى الذي أوصانا أن نصلى به دائما، قد اقتلع جذور كل من الغضب والحزن، لكنه أيضا يعطى، لأولئك الذين يصلون فرصة، ويكشف لهم الطريقة التي بها يحركون رحمة وشفقة دينونة الله الصادرة نحوهم، ويُعطينا على نحو ما قوة بها نقدر أن نلطف من حُكم دينونتنا وأن (نجعله) ينحو إلى مغفرة تعدياتنا، على غرار مغفرتنا (نحن) عندما نقول له "اغفر لنا كما

---

[٧] يوحنا كاسيان، المحاورات، ترجمة الأب الدكتور بولا ساويرس، مشوع الكنوز القبطية. ص ٥٥٧.
[٨] ميامر وأقوال الأنبا أشعياء الإسقيطي، اصدار أبناء البابا كيرلس السادس، ص ١٢٧.
[٩] ميامر وأقوال الأنبا أشعياء الإسقيطي، اصدار أبناء البابا كيرلس السادس، ص ٢٠-٢١.
[١٠] بستان الرهبان الموسَّع ج١، ص ٦٧١.
[11] بستان الرهبان الموسَّع ج٣، ص ٤١٩-٤٢٠.

نغفر نحن"... إذن مَن لا يغفر من قلبه لأخيه الذي أساء إليه، إنما بهذه الصلوة يجلب على نفسه الإدانة بدلا من الغفران، وباعترافه يسأل أن يُعاقَب هو نفسه بأكثر قسوة بقوله "اغفر لي كما غفرتُ". فإذا ما جوزِى بحسب طلبته، فماذا سيتبع ذلك سوى أن يُعاقَب بحسب مثاله الخاص بغضب لا يُطاق وحُكم لا يمكن أن يُنقَص؟ وهكذا، إن أردنا أن نُحاكَم برحمة، فينبغي أن نكون نحن أيضا رحماء مع أولئك الذين أخطأوا ضدنا. لأنه سيُغفَر لنا كثيرا مثلما غفرنا لأولئك الذين قد أساءوا إلينا مهما كانوا.[١٢]

"فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا" (كولوسِّي ٣: ١٢-١٣). آمين.

[١٢] يوحنا كاسيان، المحاورات، ترجمة الأب الدكتور بولا ساويرس، مشوع الكنوز القبطية. ص ٤٦٤-٤٦٥.